

الوثيقة (1)

تقرير عن الوضع العسكري في فلسطين آذار/مارس 1948

مقدمة

مع تدهور الوضع السياسي في فلسطين في إثر توصية اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة، في 3 أيلول/سبتمبر 1947، القاضية بتقسيم البلد، عيّنت اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية لجنة فنية مؤلفة من خبراء عسكريين لتقديم تقرير عن الوضع العسكري في فلسطين. وعقب تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، حوّلت اللجنة الفنية إلى "لجنة عسكرية"، أوكلت إليها المسؤولية الكاملة عن كل الأمور العسكرية في فلسطين وخوّلت اللجنة، التي أقامت مقرها الرئيسي في قرية قدسية الواقعة قرب دمشق، "التحقق من الحاجات الدفاعية لفلسطين"، وتنسيق الجهود العربية في ذلك الإطار. وعيّن أمير اللواء الركن إسماعيل صفوت، رئيس هيئة أركان الجيش العراقي سابقاً والشخصية الأقوى نفوذاً في اللجنة الفنية، رئيساً لها.

اندلع القتال بين القوات الفلسطينية واليهودية في إثر التصويت على قرار التقسيم. وكان الفلسطينيون منتظمين، من دون ترابط وثيق، في إطار قوة عسكرية غير نظامية، سُميت "الجهاد المقدس"، بقيادة عبد القادر الحسيني، الذي كان قائداً كاريزماتياً ويتمتع بشعبية كبيرة، وابن شقيق الحاج أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا (أعلى هيئة سياسية فلسطينية) المنفياً من فلسطين. وفي حين عسكت اللجنة العسكرية الكراهية التي كانت تكنّها الجامعة العربية للحاج أمين الحسيني، وتبعاً لذلك للقوات المتحالفة معه، فإنها كانت في الوقت نفسه متشككة بعمق وصدق، من حيث المبدأ، في فعالية العمل العسكري للجماعات المسلحة غير النظامية. وكان موقفها، المعبر عنه مراراً وتكراراً في التقارير الخطية، والمذكرات، والتقارير الشفهية المرفوعة إلى الهيئات العليا في الجامعة العربية، هو أن الجيوش العربية النظامية هي القادرة فقط على مجابهة الهجوم الصهيوني.

وفي سياق الجهود التي بذلها أمير اللواء صفوت لتعبئة الدول العربية، كتب سلسلة من التقارير المتصاعدة في لهجتها، لفت النظر فيها إلى القوة العسكرية الصهيونية المتنامية، وشدد بإلحاح متزايد على الحاجة إلى مجهود عربي ضخم ومنسق. وقد أوصى في تقريره الأول، المؤرخ 9 تشرين الأول/أكتوبر 1947، ضمن أمور أخرى، بما يلي: التجنيد الفوري لمتطوعين من العرب وتدريبهم وتسليحهم؛ نشر قوات عسكرية نظامية بالقرب من الحدود الفلسطينية؛ تشكيل قيادة عربية عامة عليا؛ تخصيص أموال وإرسال أسلحة وفقاً لحصص متعينة على كل دولة عربية. لكن دول الجامعة العربية أحجمت عن الأخذ بتوصيات صفوت. أرسلت أموال إلى اللجنة العسكرية، إلا إن القيادة العامة لم تُشكّل، وكانت كميات البنادق والأسلحة التي أرسلت أقل كثيراً من الحصص المحددة لكل دولة ودولة.

غير أن المتطوعين بدأوا الوصول إلى دمشق، وبلغ عددهم في نهاية كانون الأول/ديسمبر 1947 نحو ألف متطوع. وعُيّن عراقي آخر، العميد طه الهاشمي، وهو رئيس حكومة سابق كان منفيًا في دمشق وقتئذ، مفتشاً عاماً للإشراف على التجنيد والتعبئة، بالارتباط مع اللجنة العسكرية. وأنشئ معسكر للتدريب في قرية قدسية قرب دمشق، ونُظّم المتطوعون في "جيش الإنقاذ العربي". وبدأت وحدات هذا الجيش دخول فلسطين منذ أوائل كانون الثاني/يناير 1948. وفي شباط/فبراير، كان العدد الإجمالي للمتطوعين الذين دربتهم اللجنة العسكرية ونظمتهم نحو 5000 متطوع: 800 فلسطين؛ 3000 سوري؛ 300 لبناني؛ 800 عراقي؛ 50 مصرياً؛ 34 يونغسلافياً مسلماً.

أمّا الوثيقة المنشورة أدناه فهي التقرير الرابع الذي رفعه صفوت إلى لجنة فلسطين التابعة للجامعة العربية، التي شكّلت بعد وقت قصير من صدور قرار التقسيم لتولي المسؤولية العامة عن الأمور المتعلقة بفلسطين. وقد تألفت لجنة فلسطين من ممثلين للدول الأعضاء في الجامعة العربية، في الأغلب بمستوى رئيس حكومة أو وزير خارجية، وترأسها جميل مردم بك، رئيس الحكومة السورية آنذاك ولاحقاً وزير الدفاع فيها. ويجري التمييز دائماً في التقرير بين "المتطوعين"، إشارة إلى الأشخاص الذين جندتهم اللجنة العسكرية ونظمتهم في وحدات جيش الإنقاذ العربي، وبين "الجماعات المسلحة" / "المجاهدين"، إشارة إلى أعضاء "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني، وقد رُفِع التقرير إلى الجهة المعنية في 23 آذار/مارس 1948، لكن

مجلس الجامعة العربية لم ينظر فيه إلا في 10 نيسان/أبريل 1948، وأنداك كانت الهاغاناه قد شرعت في تنفيذ خطة دالت.

نص الوثيقة

الرقم 53/ح

التاريخ 1948/3/23

القيادة العامة لقوات فلسطين تقرير موجز عن الحالة في فلسطين ومقارنة بين قوات وإمكانات الطرفين

من القيادة العامة

إلى معالي رئيس لجنة فلسطين¹

يُعتبر هذا التقرير متمماً للتقارير السابقة والإيضاحات الشفهية التي أوضحناها في جلسات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في اجتماعها الأول المنتهي يوم 15 كانون الثاني [يناير] 1947 [؟] واجتماعها الثاني يوم 2 شباط [فبراير] 1948.

1 - القوات:

أ - القوات اليهودية:

لم تردنا أي معلومات تناقض أو تخالف المعلومات التي تيسرت لنا قبلاً والتي دلت على أن لليهود في فلسطين قوات في الوقت الحاضر لا تقل عن (50) ألف مقاتل - وهي مجموع قوات الهاغاناه وشتيرن والإرغون - وكان نصف هذه القوات قبل أشهر كامل التسليح والتجهيز ومهيأً للقتال أمّا النصف الآخر فكان مهيأً للتسليح والتجهيز والالتحاق بالوحدات خلال مدة قصيرة أمّا الآن فيغلب الظن أن هذا النصف أيضاً قد أكمل تسليحه وتجهيزه ومن الحزم أن نعتبر أن هذه القوة بأجمعها مستعدة للاشتراك بالقتال متى حان الوقت المقرر لذلك.

¹ رئيس الحكومة السورية، جميل مردم بك.

ومن ضمن قوة الهاغاناه (فرقة البلماح) المدرعة التي تقدر قوتها بخمسة أو ستة آلاف مقاتل وهي فرقة آلية وعلى درجة عالية من التدريب ويعتبرها اليهود بمثابة فرقة المغاوير الممتازة (كوماندوس).
وتدل المعلومات الأخيرة أن اليهود شكلوا في الأيام الأخيرة أي بعد بدء المناوشات قوات محلية من سكان المستعمرات يُطلق عليها القوات الدفاعية المحلية موزعة على المستعمرات بقصد الدفاع عنها ضد هجمات العرب ويقدر مجموع هذه القوات بما يقارب العشرين ألف مقاتل ثلثهم تقريباً من الفتيات.

ب - قواتنا:

تتألف قواتنا في الوقت الحاضر من العناصر التالية:
أولاً - وحدات نظامية (الأصح أنها شبه نظامية) مؤلفة من المتطوعين الذين تم تدريبهم في معسكر قطنا² وهم ينتسبون إلى مختلف الأقطار العربية.
ثانياً - وحدات أو مفارز نظامية (أو شبه نظامية) مؤلفة من متطوعين ينتسبون إلى مناطق خاصة كالدروز والجراكسة ومعظمهم ممن سبق لهم خدمة عسكرية في أحد الجيوش.
ثالثاً - جماعات مسلحة من المجاهدين الفلسطينيين يستخدمون بصورة دائمية لقاء رواتب معينة.

ويبلغ مجموع الوحدات والمفارز المنوه عنها في الفقرتين أولاً وثانياً 5200 متطوع تقريباً دخل منهم فلسطين ما يقارب الـ (4000) متطوع (بما فيهم فوج جبل الدروز ومفرزة مجدل شمس الدين³ على وشك الدخول) أمّا الباقون فهم قيد التدريب والتشكيل وفي النية تأليف قوة احتياطية منهم وتحشدها في منطقة طوباس⁴.
أمّا مجموع المجاهدين الذين تم تسجيلهم حتى الآن فبلغ ما يقارب الـ (2500) مجاهد فيكون مجموع جميع قواتنا المقاتلة لا يزيد على (7700) مقاتل وفي النية

² المعسكر التابع للجنة العسكرية، في قرية قطنا الواقعة بالقرب من دمشق.

³ قرية درزية في جنوب غرب سورية.

⁴ تقع قرية طوباس شمالي شرقي نابلس، على بعد نحو 20 كلم منها.

إبلاغ عدد المجاهدين الفلسطينيين إلى (5000 أو 6000) مجاهد فيما إذا تيسر لنا السلاح والعتاد المطلوب لذلك.

ويتضح من هذه الأرقام أن النسبة بين قواتنا والقوات اليهودية من حيث العدد تكاد تكون مفقودة وأن الفرق كبير جداً.

2 - الأسلحة:

أ - الأسلحة الخفيفة:

يملك اليهود كميات وافرة جداً من الأسلحة الخفيفة كالبنادق والرشاشات مع كميات لا تنفذ من العتاد وجميعها حديثة الصنع ومن النوع الإنكليزي أو أميركي الجيد بينما لا نملك نحن سوى بضعة آلاف من البنادق المختلفة الأنواع كالفرنسية والإنكليزية والكندية والألمانية والنمساوية ومعظمها قديم الصنع لا تصلح أبداً للحرب العصرية كما أنه لا يوجد لبعضها كالنمساوية والكندية عتاد بالمرّة أمّا رشاشاتنا فلا تختلف كثيراً عن بنادقنا من حيث اختلاف أنواعها وقدمها فضلاً عن أن عددها ضئيل لا يتناسب أبداً وما يتطلبه التنظيم الحديث كما أن مواردنا من العتاد محدودة جداً مع أن المعارك والمناوشات المستمرة تتطلب أن يكون وراءها كميات لا تنفذ من العتاد وإذا لم نحصل في القريب العاجل على كميات كافية منه فإن كارثة نفاذة سوف تقع بدون شك وعندئذ تصبح بنادقنا بحكم العصي.

ب - مدافع الهاون:

إن لدى اليهود عدداً كبيراً من هذه المدافع وهم يستخدمونها في كل معركة تقريباً خصوصاً تجاه حامياتنا في يافا وحيفا والقدس وغيرها بينما لا نملك نحن من هذه المدافع إلا عدداً يسيراً جداً لا يتجاوز الـ (14) مدفعاً أخذت من الجيش السوري وأعطيت إلى بعض الوحدات أمّا الحاميات فلا تملك حتى ولا مدفعاً واحداً مع أنها بحاجة شديدة جداً إلى مثل هذه المدافع ليتمكنوا من الصمود أمام الهجمات اليهودية التي أخذت تشتد يوماً فيوماً.

ج - مدافع الميدان الخفيفة:

لا نعلم مقدار مدافع الميدان الموجودة لدى اليهود ولا يستبعد أبداً أن يكون لديهم عدد كاف منها غير أنهم لم يستخدموها بعد لعدم الحاجة الماسة إليها في الوقت الحاضر وحرصاً من تدخل القوات البريطانية. ونملك نحن 8 مدافع قديمة مختلفة الأنواع ومحدودة العتاد ينقصها شيء غير قليل من اللوازم والتجهيزات وقد أعطيت إلى القيادة الشمالية⁵ غير أننا لا نتمكن من استخدامها في الوقت الحاضر حرصاً من تدخل البريطانيين.

د - المصفحات والدبابات:

إن لدى اليهود عدداً كبيراً من المصفحات يبلغ بضع مئات منها ما هو من نوع المصفحات الإنكليزية ومنها ما هو صنع فلسطين وهم يستخدمونها بكثرة في كل معركة تقريباً عدا عن استخدامها في الدوريات وفي حماية القوافل والمواصلات وكذلك لديهم عدد لا يستهان به من الدبابات الخفيفة ومعظمها من صنع فلسطين (تراكتورات قلبت إلى دبابات) إلا أنهم لم يستخدموها حتى الآن إلا نادراً وقد شاهدتها المجاهدون عندما هاجم اليهود الفالوجة وهدموا قسماً من مبانيها.⁶ وقد دلت التقارير الأخيرة أن في تل أبيب وحدها (150) مدرعة و100 دبابة أمّا نحن فلا نملك من المصفحات أو الدبابات شيئاً أبداً كما أن ليس لدينا من الأسلحة المضادة لها حتى ولا سلاح واحد.

⁵ قسّمت اللجنة العسكرية فلسطين إلى ثلاث مناطق: الجبهة الشمالية، بقيادة أديب الشيشكلي (أصبح لاحقاً رئيساً للجمهورية السورية)، وكانت تشمل على الجليل؛ الجبهة الوسطى، بقيادة الضابط اللبناني فوزي القاوقجي، واشتملت على بقية البلد باستثناء النقب، الذي كان نظرياً تابعاً للقيادة المصرية؛ منطقة القدس، التي كانت تابعة لقيادة عبد القادر الحسيني.

⁶ في 14 آذار/مارس 1948، هاجمت العربات المدرعة الفالوجة، وهي قرية في جنوب فلسطين تبعد نحو 40 كلم عن غزة، إلى الشمال الشرقي منها، وقتلت 37 قروياً ودمرت عدداً من المباني، ضمنها مبنى البلدية ومبنى دائرة البريد.

وإن تيسر مثل هذه الأسلحة بكثرة لدى اليهود وعدم وجودها بالمرّة لدينا أخذ يؤثر تأثيراً بليغاً على معنويات المتطوعين والمجاهدين وبصورة خاصة على معنويات الأهليين في المدن والقرى العربية بدرجة أصبحت الاستغاثات وطلب النجذات تنهال علينا من كل مكان.

هـ - الطائرات:

ثبت بصورة قطعية لا تقبل الشك أنه لدى اليهود طيارات وإن كنا لا نعرف عددها وأنواعها بالضبط غير أنهم اشترؤوا من الجيش البريطاني (21) طائرة⁷ ولا يستبعد أن لديهم كميات أخرى غيرها وكانوا إلى قبل مدة قصيرة يستخدمونها لأغراض المواصلات والاستطلاع غير أنهم سلّحوها أخيراً بالرشاشات وأخذو يستخدمونها برمي المجاهدين من الجو إلاّ إنه لا يزال استخدامها بقصد الرمي محدوداً جداً في الوقت الحاضر ونعتقد أن ذلك ناتج عن حذر اليهود من تدخل البريطانيين.

3 - الكفاءة والمعنويات:

أ - القوات اليهودية:

لم تلتحم قواتنا بالقوات اليهودية حتى الآن في معارك واسعة يمكن أن يستدل منها ونحكم على درجة تدريب هذه القوات وكفايتها الحربية غير أن من الثابت بصورة قطعية أن في القوات اليهودية ألوفاً مؤلفة ممن سبقت لهم خدمة في الجيوش الأوروبية والأميركية وأنهم شرعوا قبل بضع سنوات بتدريب شبابهم تدريباً عسكرياً قوياً وعليه فمن الخطأ الاستخفاف بتدريبهم وكفاءتهم كما أنهم برهنوا على أن لهم كفاءة ممتازة في أعمال النفس والتدمير ومما تتطلبه هذه الأعمال من المهارة الفنية والإتقان الدقيق أمّا معنوياتهم فقد دلت الوقائع حتى الآن أن ليس لليهود معنويات عالية بل إنها بصورة عامة أضعف من معنويات العرب من حيث البسالة والإقدام

⁷ اشترت هذه الطائرات الخفيفة، وهي من نوع "أوستر" (Auster)، في أوائل كانون

الثاني/يناير 1948.

باستثناء بعض الإرهابيين الذين لهم من عقائدهم ما يجعلهم لا يهابون الموت في سبيل أهدافهم.⁸

ب - قواتنا:

إن مستوى التدريب في وحدات المتطوعين هو دون الوسط كما أن الكفاءة الحربية في هذه الوحدات تعتبر واطئة وذلك لقلة عدد الضباط وإناطة قيادة بعض الوحدات والوحدات الفرعية إلى ضباط متقاعدين أو أحداث أو ضباط صف وكذلك الضبط العسكري فهو ضعيف جداً وهذا أمر طبيعي في وحدات تتألف من متطوعين لا يشعرون بسيطرة الأنظمة والقوانين ولا يهابون العقاب كما هو الحال في الجيوش النظامية.

أمّا المجاهدون سواء المستخدم منهم بصورة دائمية لقاء راتب معين أو من يشترك منهم في القتال بدافع الواجب الوطني فليسوا على شيء من الكفاءة العسكرية شأنهم في ذلك شأن جميع المدنيين الذين يتكثرون ويؤلفون جماعات مسلحة وتحت حكم الضرورة ومقتضيات الظروف.⁹ غير أن المعنويات سواء في وحدات المتطوعين أو في جماعات المجاهدين فيمكن القول بأنها جيدة إذ إن العرب لا يزالون ينظرون إلى اليهود بنظر الازدراء والاستخفاف كما أن شعورهم الوطني يجعلهم يستبسلون في القتال ولولا ذلك لما استطاعوا الصمود أمام أسلحة اليهود الفتاكة.

4- المعامل والمصانع وورشات التصليح:

لدى اليهود معامل ومصانع عديدة ومتنوعة وهم يصنعون فيها المدرعات والدبابات والعتاد الخفيف ومدافع الهاون وقطع التغيير لجميع الأسلحة كما أن

⁸ قبل البدء بتطبيق خطة دالت في أوائل نيسان/أبريل 1948، كان الوضع القتالي جيداً

نسبياً فيما خصّ الجماعات الفلسطينية المسلحة، التي بدت متفوقة على الطرقات وفي المناطق الريفية.

⁹ في الغالب كان سكان من المدن والقرى ينضمون إلى القتال بالقرب من أماكن سكنهم

على أساس تطوعي ومرتجل، ثم يعودون إلى منازلهم بعد انتهاء الاشتباك.

ورشات التصليح للسيارات والأسلحة كثيرة ومستكملة الوسائط وتدار من قبل مهندسين فنيين وعمال ماهرين بينما لا نمك نحن شيئاً من ذلك حتى ولا معمل تصليح صغيراً واحداً غير أننا نستعين في الوقت الحاضر بمعامل التصليح للجيش السوري لتأمين التصليحات الضرورية وفي ذلك ما فيه من الصعوبات وبصورة خاصة الصعوبات التي نجابهها في جلب الأسلحة والسيارات من فلسطين إلى دمشق بقصد التصليح وما ينتج عن ذلك من ضياع الوقت وتأخر الأعمال.

5- وسائط النقل:

إن ما في حوزة اليهود من وسائط النقل الكثيرة لا يقبل القياس بوجه من الوجوه مع ما لدينا من وسائط قليلة ووسائل ضعيفة.

6- الاحتياطات والتقويات:

أ - في استطاعة اليهود تدارك قوة احتياطية كبيرة من الرجال في فلسطين فيما إذا أعلنوا النفي العام وجعلوه يشمل من تتراوح أعمارهم بين 18 - 55 من ذكور وإناث خصوصاً وأن أكثرية المهاجرين [اليهود] تتألف من شبان أقوياء وأن نسبة الشيوخ والأطفال فيهم قليلة.¹⁰

أما التقويات التي يمكن أن ترد إليهم من وراء البحار فستكون عظيمة جداً إذ إن في قبرص¹¹ وفي سواحل البحر الأسود¹² وفي مختلف البلاد الأوروبية والأميركية

¹⁰ نظمت الهاغاناه حركة هجرة غير شرعية منذ أواسط الثلاثينات. وبعد صدور قرار التقسيم أصبح المعيار لاختيار المهاجرين، كما ورد في الرواية الرسمية لتاريخ الهاغاناه، هو أن يكونوا "شباناً صغاراً مستعدين للانضمام فور نزولهم من السفينة إلى قوات (الهاغاناه) المقاتلة" ("حرب فلسطين 1947 - 1948: الرواية الإسرائيلية الرسمية"، ترجمه عن العبرية: أحمد خليفة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984، ص 333).

¹¹ كانت البحرية البريطانية تنقل إلى معسكرات اعتقال في قبرص المهاجرين اليهود غير الشرعيين الذين كانوا يؤخذون من السفن التي كانت البحرية البريطانية تعترضها في

عشرات الألوف من المهاجرين الذين ينتظرون موعد الهجرة بفارغ الصبر وهم على أتم استعداد إليها في أول فرصة تسنح لهم. كما أن في استطاعتهم جلب كميات عظيمة من الأسلحة والمهمات بما فيها الأسلحة الثقيلة والطائرات والدبابات إلى فلسطين خلال مدة قصيرة جداً إذا رُفِع الحصر وأصبحوا أحراراً في استيراد ما يحتاجون إليه وذلك بمعاونة وتأثير اليهودية العالمية وما تملك من أموال طائلة ونفوذ واسع ومقدرة فائقة مع العلم أن اليهود مستمررون وفي الوقت الحاضر على تهريب الأسلحة والمهمات إلى فلسطين بالرغم من المنع وعن جميع القيود والعراقيل الموضوعة أمامهم. وما الشحنات التي اكتشف أمرها وضبطت في أميركا وفرنسا وإيران إلا قليل من كثير.¹³

ب - بالرغم من أن نفوس العرب في فلسطين أكثر عدداً من نفوس اليهود فيها فلا أمل لنا بالحصول على عدد كبير من المتطوعين الفلسطينيين بالنظر لما لاقيناه من صعوبات في تجنيد بضع مئات منهم وقد هرب قسم غير قليل من هؤلاء بعد أن تم

أثناء توجهها إلى فلسطين. وتراوح عدد المعتقلين في نهاية سنة 1947 ما بين 35.000 و40.000 مهاجر غير شرعي.

¹² في اليوم الأول من سنة 1948 أُحضر إلى فاماغوستا (في قبرص) 15.000 مهاجر يهودي غير شرعي على متن السفينتين "بان يورك" و"بان كريستنت". وكانت هاتان السفينتان، اللتان اعترضتهما البحرية البريطانية، أبحرتا من ميناء بالسيك (Balcic) البلغاري الواقع على ساحل البحر الأسود. وربما هذا ما كان ماثلاً في ذهن صفوت عندما كتب تقريره.

¹³ بالنسبة إلى شحنة الأسلحة الأميركية، ربما كان صفوت يشير إلى اكتشاف السلطات الأميركية في 3 كانون الثاني/يناير 1948، في ميناء مدينة جيرسي، 65.000 رطل من المتفجرات (T.N.T.) المرسلة إلى الهاغاناه على متن سفينة شحن كانت تتأهب للإبحار إلى فلسطين.

تدريبهم والتحقوا بالقوات التي دخلت فلسطين¹⁴ كما أنه تمرد قسم منهم قبل أن يتم تدريبهم وعادوا من حيث أتوا.

أمّا الفلسطينيون المجاهدون الذين يتقدمون للخدمة لقاء راتب معين وشروط خاصة¹⁵ فعددهم أكثر والحصول عليهم أيسر غير أن الفائدة منهم محدودة وفي نطاق ضيق وحتى هؤلاء لا يمكن أن يبلغ عددهم أكثر من بضعة آلاف اللهم إلا في الاسم والأرقام الخيالية لا في الحقيقة والواقع.

أمّا المتطوعون من مختلف الأقطار العربية فيمكن الحصول على بضعة آلاف منهم - مع بعض الصعوبات طبعاً - فيما إذا تيسرت لنا الأسلحة الكافية والوسائط اللازمة لتدريبهم وتجهيزهم وتسليحهم مع العلم أن هؤلاء المتطوعين والمجاهدين يحتاجون إلى عدد كبير من الضباط ليتولوا قيادتهم مع أننا لم نحصل حتى الآن إلا على عدد يسير جداً من الضباط معظمهم من الجيش السوري.

هذا فيما يختص بتدارك الرجال أمّا فيما يختص بتدارك الأسلحة والمهمات فالحالة أسوأ بكثير وأدعى للفشل وخيبة الظنون إذ لا تزال الدول العربية حتى الآن لم تقدم ما تعهدت به من السلاح والعتاد مع أن هذا المقدار كان تقرر إعطاؤه كمعونة مستعجلة لا كسلاح يكفي لإدامة القتال.¹⁶

¹⁴ غادر كثيرون من المتطوعين الفلسطينيين، الذين لم يريدوا انتظار الأوامر، معسكر

التدريب قبل صدور أوامر إليهم بذلك، من أجل الانضمام إلى قوات جيش الإنقاذ العربي التي كانت أرسلت إلى فلسطين.

¹⁵ أهمها أن يخدموا في مناطقهم في فلسطين.

¹⁶ الحصص التي حددتها اللجنة العسكرية فيما يتعلق بالبنادق، على سبيل المثال، كانت

2000 بندقية من كل من مصر وسورية والعراق والمملكة العربية السعودية، و1000

بندقية من كل من شرق الأردن ولبنان. وحتى 8 شباط/فبراير 1948، لم تكن المملكة

العربية السعودية ولا شرق الأردن سلمتا أية بنادق، بينما كانت مصر سلّمت 300

بندقية، والعراق 1260 بندقية، ولبنان 550 بندقية. وكانت سورية الدولة الوحيدة

التي سلمت كامل الحصص المحددة لها.

أما الصفقات الخارجية فلم يصلنا شيء منها بعد ولا نعلم مدى نجاح هذه الصفقات وموعد وصولها إذ لا يزال أمامها كثير من العراقيل والعقبات وبهذه المناسبة لا بد من أن نكرر ما أشرنا إليه قبلاً من أن كميات العتاد الموجودة لدينا على وشك النفاذ نظراً لكثرة ما يستهلك منها يومياً في المعارك المستمرة وإذا نحن لم نحفظ لهذا الأمر من الآن فسنكون أمام كارثة لا يمكن تجنبها.

7 - حالة المستعمرات اليهودية:

لقد ظهر أن جميع المستعمرات اليهودية صغيرة وكبيرها محكمة تحكيماً رصيناً ومحاطة بأسلاك شائكة وموانع قرية وقد شيد في كثير منها أبراج للرشاشات ومدافع الهاون وهي مستكملة أسباب الدفاع وقد دلت الوقائع على أن التغلب على هذه المستعمرات وإسقاطها بالأسلحة الخفيفة أمر مستحيل جداً كما أن قرب هذه المستعمرات من بعضها وما تملكه من وسائل المخابرة والاتصال وإمكان نجدها بالمصفحات والقوات اليهودية المحمولة باللوريات تحول دون انعزالها وضرب الحصار عليها يضاف إلى ذلك أن قطعات الجيش البريطاني تسرع بالتدخل كلما يتحرج موقف المستعمرات.

8 - موقف حامياتنا:

لقد تم تأسيس حاميات ثابتة في المدن التي هي أكثر عرضة للخطر غير أن هذه الحاميات ضعيفة ضعفاً بارزاً في كل مكان خصوصاً وأن أسلحتها لا تتعدى البنادق القديمة والقنابل اليدوية وقليلاً من الرشاشات بينما يهاجمها اليهود بالمصفحات ونيران مدافع الهاون والرشاشات وإنني أشك في مقدرتها على الصمود بوجه القوات اليهودية المتفوقة عليها بالعدد والعدد لولا تدخل القطعات البريطانية بين وقت وآخر وعندما تشتد المعارك ويتحرج الموقف.

9 - الحالة الداخلية في فلسطين:

أ - لقد أوضحنا في كتابنا المرقم 7/ص والمؤرخ في 11 - 3 - 1948 المرفوع إلى معاليكم وجود قوات وجماعات مسلحة في مختلف أنحاء فلسطين ليس لها أي اتصال بالقيادة العامة وأن الأشخاص الذين يرؤسون هذه الجماعات لم يتصلوا بالقيادة ولم يعترفوا بها وهم يعلنون عن أنفسهم أنهم عينوا قواداً مسؤولين من قبل

جهة معينة ويصرحون أنهم لن يخضعوا إلا إلى تلك الجهة¹⁷ وهم يرغبون الناس بالقوة على الخضوع لهم والانصياع لأوامرهم ورغباتهم الأمر الذي أدى إلى اشتداد الحزبية والتكتلات الموضوعية بين الفلسطينيين وانقسامهم على أنفسهم وقد أيدت التقارير الأخيرة أن الفلسطينيين يقتنون السلاح لا ليحاربوا اليهود بل ليتسلطوا على خصومهم من العرب أو ليدافعوا به عن أنفسهم ضد من يعتبرونهم خصوماً لهم في الوقت الذي هم أشد الناس حاجة إلى اتحاد الكلمة وتوحيد الصفوف.

وقد بذلنا كل ما في وسعنا من جهود وأبدينا كل ما هو ممكن من تسامح وتساهل للقضاء على هذه الحالة المؤلمة غير أن جميع هذه الجهود ذهبت سدى ولم تثمر الثمرة المرجوة وها هي الحالة تزداد سوءاً وارتباكاً يوماً فيوم وإن دوام هذه الحالة سيؤدي بلا ريب إلى أوخم العواقب وأسوأ النتائج.

ب - إن اختلاف الفلسطينيين واشتداد الحزبية بينهم فسح مجالاً واسعاً لبعض الدعايات التي لا تتفق ومصالحة فلسطين وليس بمستبعد أن يعقب هذه الدعايات تدخل فعلي من قبل بعض الجهات،¹⁸ الأمر الذي سيجعل القيادة العامة تجابه مواقف خطيرة ومشاكل عديدة لا يستفيد منها غير الأعداء.

ملحوظة: - نؤمل أن ما اتفق عليه أخيراً من وضع جميع القوات الشعبية تحت تصرف القيادة العامة سيزيل كثيراً من هذه المحاذير وسيؤدي إلى اتفاق الكلمة وتوحيد الصفوف فيما إذا نفذت تلك المقررات عملياً وبحسن نية وإخلاص.

10 - خلاصة المقارنة:

يتضح من هذه المقارنة أن اليهود يتفوقون علينا تفوقاً كبيراً في العدد والعدد في الوقت الحاضر وهنا لا بد وأن يرد على خاطر السؤال التالي: لمَ لم يقم اليهود بحركات واسعة وإنزال ضربات شديدة بالعرب طالما هم يملكون القوات اللازمة لذلك؟ وأعتقد أن الجواب لهذا السؤال يتلخص بالأسباب التالية:

¹⁷ الحاج أمين الحسيني.

¹⁸ يشير صفوت، على الأرجح، إلى الملك عبدالله، الذي كانت علاقاته بالحاج أمين

الحسيني متوترة جداً.

أولاً - بالرغم من بدء المناوشات والمعارك لا يزال اليهود يسعون لحصر القتال في نطاق ضيق بقدر الإمكان أملين أن يتم التقسيم وتتألف الحكومة اليهودية والقتال في هذا النطاق الضيق كي يسلم العرب بالأمر الواقع والدليل على ذلك أنهم لم يعتدوا حتى الآن على قرية عربية ما لم يبدأ سكان تلك القرية بالاعتداء عليهم أو التحرش بهم.¹⁹

ثانياً - إن حذرهم من تدخل القوات البريطانية يحول دون استخدامهم قوات كبيرة وأسلحة ثقيلة في نطاق واسع.

ثالثاً - يتوقع اليهود أن تقوم الدول العربية - بعد إنهاء الانتداب طبعاً - بتحشيد قوات كبيرة للقيام بحركات جسيمة ومعارك حاسمة ومن مصلحتهم أن يحتفظوا بقواتهم الأساسية لمجابهة تلك المعارك المنتظرة.

يضاف إلى هذه الأسباب الثلاثة أن موقفهم لم يتحرج بعد وأن وضعهم الحربي لم يستدع استخدام قوات كبيرة.²⁰

هذا ما هو واقع في الوقت الحاضر أمّا في الأيام والشهور المقبلة فلا شيء يدل على أن التفوق سيكون بجانبنا ما لم تشترك جيوش الدول العربية بكامل أسلحتها ومعداتها إذ إن الخمسة أشهر الماضية دلت دلالة صريحة على أن استمرارها على العمل في هذا النطاق الضيق سيبقينا في هذا الضعف وسيبقي هذا التفوق الكبير بجانب اليهود ويتجلى لنا ذلك بوضوح إذا لاحظنا ما سيصل إلى اليهود من وراء البحار من التقويات والإمدادات التي لا حد لها كما سبق وأوضحناه في المادة 6 من هذا التقرير بينما يدل واقع الحال على أن الدول العربية ستقتصر على معاونتها ومساعدتها المحدودة كالتالي قدمتها حتى الآن والتي لا تعد شيئاً يذكر بالنسبة لخطورة الموقف وحقيقة الوضع.

¹⁹ هذا الكلام غير دقيق، كما هو واضح من تقرير صفوت نفسه، القسم (2) د. أعلاه.

²⁰ لم يكن في وسع صفوت التنبؤ بأن القوات اليهودية ستبدأ هجومها الشامل قبل انتهاء الانتداب، هذا الهجوم الذي بدأ خلال أقل من أسبوعين منذ كتابة التقرير، عندما شرعت

القوات اليهودية في تطبيق خطة دالت في 4 أ 5 نيسان/أبريل 1948.

11 - الموقف الحربي في الوقت الحاضر:

من الحزم بل من الواجب عدم الاطمئنان والركون إلى ما تذيعه وتنشره الجرائد العربية من التهريج والبيانات المزوقة والدعايات المبالغ فيها كثيراً إذ إن بالرغم من أن اليهود لم يستخدموا من قواتهم إلا القليل فإن زمام الحركات والمبادأة في أيديهم في معظم أنحاء فلسطين، وإن حامياتنا التي تعتبر قوية نسبياً كحامية يافا والقدس وحيفا هي في وضع دفاعي بحت وإني أشك في مقدرتها على الصمود لولا خشية اليهود من تدخل الجيش البريطاني أما الحاميات الصغيرة الأخرى فهي معرضة للمغلوبية والانهازم فيما إذا هاجمتها قوات كبيرة يهودية وإن هذا الضعف في حامياتنا لم يكن ناشئاً عن قلة عدد المجاهدين فيها فحسب بل [كان] ناشئاً من ضعف أسلحتها وقلة عتادها تلك الأسلحة التي هي عبارة عن عدد محدود من البندقيات القديمة والمختلفة الأنواع وعدد ضئيل جداً من الرشاشات.

أما قواتنا المحتشدة في بعض المناطق فهي ليست في حالة من القوة سواء في العدد أو التسلح تستطيع معها أن تقوم بعمل جدي بمقياس واسع وقد اقتصر في أعمالها حتى الآن على تضييق بعض المستعمرات وحركات الإزعاج.

ومن المشكوك فيه أن تستطيع هذه القوات القيام بأعمال جديّة وحركات جسيمة حتى إذا تم تحشدها طالما ينقصها كثير من الأسلحة والضباط.

12 - الخاتمة:

أ - إن قواتنا في فلسطين - سواء المؤلفة من متطوعين مدربين أو من الفلسطينيين المسلحين - لا يمكن أن تحقق نصراً عسكرياً حاسماً وكل ما تستطيع أن تعمله هو إدامة القتال إلى أمد معين يتناسب وما تناله من تقويات وما يتوفر لديها من سلاح.

ب - إن الحيلولة دون تشكيل حكومة يهودية وإرغام اليهود على الرضوخ إلى المطالب العربية يتطلبان قوة تعادل قوتهم على الأقل وهذا ما لا سبيل إلى الوصول إليه في هذا النطاق الذي لا زلنا نعمل فيه.

ج - لا زلنا عند رأينا السابق من وجوب تدخل جيوش الدول العربية واشتراكها بالقتال بكل ما تملك من أسلحة ومعدات فيما إذا أردنا تحقيق نصر عسكري حاسم.

د - إن الجيوش العربية ينقصها الكثير من اللوازم السفرية فإذا لم تشرع بإكمال هذا النقص والتحشد من الآن لا تستطيع أن تكون مستعدة للعمل عند حلول موعد انتهاء الانتداب وسيسبقنا الزمن كما سبقنا قبلاً.

إسماعيل صفوت

أمير اللواء الركن

القائد العام لقوات فلسطين

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>